بين الناشطية النسوية والنضال من أجل العدالة الإجتماعية.

في الفصلين الأخيرين من الكتاب تتناول العلي أهداف الناشطية النسائية المعاصرة في مصر وأولوياتها – بعضها ينصب على قضايا عامة كتخفيف الفقر ومحاربة الأمية بين النساء بالإضافة الى تقديم المساعدة القانونية إليهن. فضلاً عن ذلك فإن المنظمات النسائية منهمكة في النضالات النسوية مع الدولة بهدف إدخال تعديلات قانونية تتعلق بقانون الجنسية وقانون الأحوال الشخصية وقانون التجمع. مجال آخر للناشطية النسائية متعلق بتعزيز التوعية وبأن يكون الإنخراط في الحركات الأخيرة المناهضة للحرب والإستعمار أفضل تنظيماً. ولكن، كلما ازدادت القضايا ازداد النقاش! لتعطي مثلاً على النقاشات الدائرة حالياً داخل الحركة النسائية تختار العلي مركز دراسات المرأة الجديدة كحالة تبيّن أكثر القضايا التنظيمية والإيديولوجية إلحاحاً. إحداها الدعوة إلى خلق بنى مستقلة وديموقراطية، وأخرى تدور حول امتهان الناشطية في مقابل العمل التطوعي. التمويل الاجنبي قضية أخرى ساخنة، مع تقسيم الممولين إلى «أخيار» و«أشرار» بناء على جداول أعمالهم العامة. إحدى المنظمات النسائية غير الحكومية، معن، (المركز النسائي للدراسة، معاً) التي تبحث في الأمور الجندرية من وجهة نظر ماركسية، ترفض التمويل الأجنبي جملة وتفصيلاً.

يدور أيضاً جدل طويل من وجهة نظر أيديولوجية حول المرجعية الثقافية للناشطية النسائية المصرية. كذلك يكثر النقاش حول حقوق النساء كحقوق عالمية، من جهة، والخصوصية الثقافية من جهة أخرى. إحدى القضايا التي تثار في هذه النقاشات قضية الجوهرية. ولكن تجدر الإشارة إلى أنه مهما أمكن إستخدام الإختلاف وسوء استخدامه دلالة على عدم المساواة، فإن الناشطات المصريات المعاصرات يستطعن إستخدام الجوهرية كوسيلة سياسية لتعزيز النسوية والعدالة الإجتماعية من داخل سياق ثقافتنا في اللحظة التاريخية الراهنة.

نساء وجمعيات:
Ò¨dG áeóNh äGòdG ±É°üfG ÚH äÉ«fÉæÑd

¿f°†«H IQGô°T Iõ©d
(2002 ,QÉ¡ædG QGO :ähÒH)
OƒÑY ø°ùM á©LGôe

«نساء وجميعات» دراسة ميدانية جيّدة تركّز على إسهامات النساء اللبنانيات في المجتمع المدني. تحاول المؤلفة عزة شرارة بيضون أن تجيب عن السؤال الآتي: «إذا كانت النساء قد مكثن دهوراً طويلة في «المجال الخاص»، ملتزمات فيه مهمة إعادة الإنتاج، فهل حملن منه إلى «المجال العام» منطلقات ورؤى لعقلنة مجرياته، أو مقاربات خاصة للتأثير فيه، أو مهارات للفعل والتأثير في بنى مؤسساته وآليات عملها؟»

تجيب شرارة عن هذه الأسئلة في ستة فصول، لافتة إلى أن وجهات النظر متباينة ومتناقضة أحياناً في ما يتعلق «بالنساء والمنظمات»، وهو موضوع يزداد أهمية بإزدياد إنهماك المنظمات غير الحكومية في التنمية الإنسانية. تغطي المقدمة البدايات التاريخية لعمل النساء الإجتماعي، لا سيما جهودهن لنيل حق الإقتراع والترشيح، والعمل في وزارات الشؤون الإجتماعية والتعليم والفنون الجميلة.

الفصل الأول «الشخصي والسياسي في العمل الإجتماعي النسائي: قراءة في الأدبيات» مسح شامل للدراسات التي تناولت النشاطات النسائية في المنظمات غير الحكومية في الولايات المتحدة. تبرر شرارة إختيارها أن يشمل كتابها أدبيات أميركية كتبتها باحثات بقولها «إن هذه الأدبيات تضع الدراسة في سياقها الاعم، وتمدّه (اي القارئ) بمادة تسمح له بالحكم على راهنية الدراسة وجدتها».

في الفصل الثاني تفسر شرارة المنهجية التي اتبعتها في دارستها الميدانية، وقد غطت المنظمات غير الحكومية التي تأسست في بيروت الكبرى بعد ١٩٩٠. بلغ عددها ٣٢ باسماء مختلفة : جمعية، منظمة، لقاء، تجمع، الخ. وتختصّ ميادين ومشكلات اجتماعية مختلفة: الصحة، التعليم، قضايا الطلاب، العناية باليتامى، المخطوفين، البحث العلمي، الخ.

أما الفصل الثالث فهو «بيت القصيد» ويغطي «ديناميكية العمل الإجتماعي في المنظمات غير الحكومية اللبنانية» هنا تشير شرارة إلى العوامل التي تسهم في تطوير بنى المنظمة وأهدافها الأساسية أو تعرقلها. مثلاً، تبحث قضية الطائفية مع رؤساء المنظمات، متوصلة إلى نتاذج متناقضة تتوقف على نوع المنظمة وارتباطاتها السياسية. المنظمات التي يتداخل فيها الإجتماعي والسياسي، مثل اللقاء من أجل الإنتخابات البلدية والإختيارية، والحركة الإجتماعية، والجمعية اللبنانية لحقوق الانسان، أو حركة حقوق الناس، تبين شرارة أن اصطدامها بالطائفية محتم بما أن للطائفية القدرة على تشويه تقدم المشاركة السياسية وعرقلته.

الفصل الرابع يدرس «التشابه والتباين بين النساء والرجال في منظماتهم»، ولا سيما وعيهم الطائفي والجندري. والفصل الخامس «في مواجهة العنف ضد النساء: أيديولوجيات وبرامج» يتناول مواقف مختلفة من العنف: من جمعية النجاة الإسلامية، إلى الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضد المرأة. وتدخل شرارة برامج للإستماع والمساندة جديدة مثل التجمع النسائي الديموقراطي والتجمع الذي قابل ١٧٧ سجينة حُرّرن بعد الإنسحاب الإسرائيلي من جنوبي لبنان.

كذلك يعرض الفصل السادس لتاريخ تجمع الباحثات اللبنانيات ويقدم دراسة عنه، وهو تجمع يضمّ باحثات من إختصاصات مختلفة يجتمعن «من أجل اللقاء والتواصل الفكري». شهدت شرارة ولادة التجمع إذ كانت إحدى مؤسساته، وتقول: «لا يدعي التجمع لنفسه مهمة جللاً. وهو كان اختط لذاته منذ بداية إنشائه، الصبر والتريث في تحقيق غاياته المتواضعة.» (ص١٩٥) فالباحثة، كما نعلم، ظاهرة جديدة في مجتمعنا، ولا تتمتع بعد بمكانة واضحة التوصيف (إجتماعياً، ثقافياً أو سياسياً) شأنها في ذلك شأن زميلها الباحث. ولكن إجتماع الباحثات بهذه الصيغة المنظمة والمرنة يسهم – عبر النشاط الداخلي – في تحديد دور المرأة الباحثة، وعبر إطلالاتها على الخارج في تأكيد قيمتها بالنسبة للمجتمع.

يستحيل أن تفي مراجعة قصيرة لمثل هذه الدراسة المعقدة بالجهود التي بذلتها شرارة خلال ما يزيد على أربع سنين من البحث. يقدم الكتاب إسهاماً مميزاً في حقول المنظمات غير الحكومية والتنمية الإنسانية وعلم النفس الإجتماعي والدراسات الجندرية وغيرها. كذلك تقدم الباحثة تفسيراً قيماً للمصطلحات المتعلقة بالتنمية الإنسانية والإجتماعية الشائعة في لغة المنظمات غير الحكومية ، من «إدماج قضية الجندر» إلى «الوعي النسوي» – مئات المصطلحات التي ترجمتها إلى العربية أو عربتها لكي يفهما القارئ العادي أو المتخصص.